فهارس المخطوطات العربية

«دراسة تحليلية»

للدكتور
عباس صالح طاشكندي

ليس هناك ادنى شك في أن الولوج في عمليات الفهرسة واصدار الفهارس لمجموعات المصادر في خزائن الكتب ودور السجلات أمر قديم قدم المكتبات انفسها ، إلا أن مبعث الاثارة دوماً ودائماً هو محاولة العثور على أي دليل مادي حول أقدم فهرس صدر على وجه الأرض ، وحتى اذا ما تحقق ذلك ، فإن الحقيقة التاريخية تظل متغيرة باكتشاف أثر مادي آخر يؤدي بدوره إلى تعديل الحقائق مرة أخرى ، وهكذا شأن ارتباط الحقائق التاريخية بما يستجد من اكتشافات أثرية مادية قاطعة .

على ان المهتم بمثل هذه الأمور التاريخية كثيراً ما يصطدم بسيل من الكتابات تأتي على شكل بحوث ومقالات وتقارير تدور كلها حول عدد من الآراء المختلفة .

وحول أقدم فهرس صدر في العالم ، نجد أن عديداً من الكتابات تأخذ اتجاهات متغايره ، ففي حين أن كوركيس عواد[١] يرجح أقدم الفهارس للبابليين ، نجد أن سيفيرانس[٢] ينسب أقدم الفهارس إلى الأشوريين وبالتحديد سنة ٧٠٠ قبل الميلاد ، بينما يذهب ستراوث[٣] إلى السومريين باعتبارهم أول من أصدر فهارس المكتبات .

وعلى أية حال فإن أياً من هذه الادعاءات ستظل غير مؤكدة ما لم تدعم الاكتشافات الأثرية وجهة نظر معينة بدليل مادي قاطع .

ولعل البحث في أصول الفهارس القديمة لم يكن وقفاً على أولئك الذين سبقت الإشارة اليهم ، بل تناولها عدد كبير من العلماء من أمثال ادوارد ادواردز[٤] وجونسون[٥] وتومبسون[٦] وهيسل[٧] وكلارك[٨] وتايلور[٩] وبارسونز[١٠] ووتي[١١] وكير[١٢] وسافجيه[١٣] وريتشاردسون[١٤] وبتو[١٥] وغيرهم من العلماء ، إلا أن توريس[١٦] في رسالتها العلمية التي خصصت لدراسة مناهج اصدار الفهارس عبر التاريخ قد ادعت بأن الاكتشافات الأثرية لألواح الصلصال الأشورية (١٦٦٨ — ٦٢٦ قبل الميلاد) كانت تضم فهرساً سجلت عليه معلومات بيليوجرافية شبيهة في الغرض بالمعلومات التي تسجل في الفهارس الحديثة .

ويبدو أن هذا الادعاء في غير محله ، وخاصة فيما يتعلق بوظيفة الفهرس ونشوئها عبر التاريخ . ذلك أن تطور الفهارس من الناحية الوظيفية قد اتخذ اشكالاً متعددة تمر عبر الأغراض التالية :

١ — الفهرس كوسيلة للجرد والحصر .
٢ — الفهرس كوسيلة تصل القارىء بالمادة المطلوبة .
٣ — الفهرس كوسيلة مستقلة للضبط والتحقيق البيليوجرافي .

فتعدد وظائف الفهرس عبر التاريخ يفترض التباين والاختلاف في عناصره وبالتالي فإن الادعاء بأن الفهارس الأشورية كانت على نمط مشابه لفهارس اليوم في الاغراض يعتبر ادعاء غير دقيق .

وعلى أية حال فإنه ليس من اغراض هذا البحث أن يتناول التفاصيل التاريخية لأقدم الفهارس الموجودة ، وكيفية التحقيق في أمرها ، وانما أراد الباحث في هذه المقدمة أن يسلط الضوء على أن قضية الضبط البيليوجرافي لمصادر المعرفة قضية تعود أصولها إلى حقب سحيقة في التاريخ ، وان أصول الفهارس القديمة تعود إلى هذه المنطقة الحضارية من العالم .

فإذا كان الشرق القديم مسؤولاً بوسائله البدائية عن اصدار أقدم الفهارس الحصرية ، فضلاً عن أن الحضارة الإسلامية بكل ما فيها من ثراء فكري أصيل ومترجم مسئولة عن اصدار العديد من الأدوات البيليوجرافية المنهجية ، وهي التي أورثت البشرية ما يزيد على حسب تقدير المنجد على ثلاثة ملايين مخطوطة عربية[١٧] فأين استقرت كل تلك الأعمال ؟ وما هو الواقع البيليوجرافي لهذه المخطوطات العربية التي تنتشر في كل بلاد العالم ؟ وما هي أنجح الوسائل للتغلب على مشاكل الضبط البيليوجرافي للمخطوطات العربية ؟

إذا قارنا محتوى مختلف الوسائط المكتوبة التي انتجتها حضارات وثقافات أخرى بمحتوى المخطوطات التي أنتجتها الثقافة العربية والإسلامية ، فإننا نجد أنها تتميز عنها بأمرين هامين .

أولهما : انها تتميز بالأصالة فيما اضافته في شتى العلوم والمعارف .
وثانيهما : انها المسئولة عن المحافظة على تراث الحضارات القديمة نتيجة لاضطلاع علماء العرب بالمترجمات إلى العربية .
ومن هنا فقد كان الاهتمام دولياً بجمع التراث المخطوط للثقافة والحضارة العربية والإسلامية .

على أن المخطوطات العربية أياً كان حجمها تتوزع الآن نتيجة لتلك الظروف الهامة في شتى بقاع الأرض ، شأنها في ذلك شأن المصادر الأخرى للمعرفة البشرية ، ويمكن تحديد تواجدها حالياً في المراكز التالية :

١ ـــ المكتبات العربية والإسلامية .
٢ ـــ المكتبات العالمية في غير المناطق العربية والإسلامية .
٣ ـــ المكتبات الخاصة .
٤ ـــ الأربطة والمساجد .

فقد تولى كل من فيليب دي طرازي[١٨] ويوسف أسعد داغر[١٩] وفؤاد سيزكين[٢٠] مسح المكتبات المعروفة التي تحتوي على مجموعات من المخطوطات العربية ، إلا أن دي طرازي قد أولى أكثر اهتمامه في الإشارة الى المجموعات الخاصة التي تضمها مكتبات الأفراد ، وهذا ما يميز عمله عن الآخرين .

المخطوطات العربية تجمعت في كل تلك المراكز نتيجة لظروف متغايرة . ففي المكتبات العربية والإسلامية نجدها قد تجمعت بحكم أصالة وجودها في هذه المناطق ، وبفعل النهضة التي شهدتها مختلف دول العالمين العربي والإسلامي منذ بداية القرن العشرين مما حدا بالحكومات إلى اتخاذ أساليب الاهتمام بجمع التراث الوطني ، وتسابقت الهيئات المختلفة إلى الاستفادة من تلك المصادر ،

فاهتمت المكتبات الوطنية ومكتبات الجامعات بضم شتات العديد من المجموعات التي كانت تنتشر هنا وهناك سواء لدى الأفراد أو تلك التي ضمتها خزائن الكتب التاريخية القديمة ، أو التي آلت إلى مختلف الهيئات بطرق الوقف أو الاهداء .

أما في المكتبات العالمية في غير المناطق العربية والإسلامية ، فإن أصل تواجد المخطوطات العربية فيها يعود إلى نظرة الاستعمار إلى أهمية هذا التراث والولوج في ميدان القرصنة للاستيلاء عليه ، فقد حفلت كتب التاريخ بالعديد من الوثائق التي تؤكد مختلف الوسائل التي حصلت بها الدول الأوربية على أرتال ضخمة من المخطوطات التي كانت تضمها خزائن الكتب القديمة ، فقد اهتم في باديء الأمر بابوات الفاتيكان بجمع هذا التراث ، تبع ذلك جهود ملوك فرنسا ومنهم لويس الرابع عشر الذي كلف سفيره دي مونسوا بالبحث عن مخطوطات جامع القروين في فاس ، وكذلك بعثته لجمع المخطوطات في الشعر والتاريخ والنحو والهندسة والفلك والطب من بلاد الشام . أما غليوم الثاني ملك ألمانيا فقد استولى على مخطوطات الجامع الأموي بدمشق بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣١٧ هـ .

وبالنسبة لأنجلترا فقد تجمعت المخطوطات العربية بمكتباتهم نتيجة لجهود كبيرة قام بها المبشرون الانجليز في مختلف المناطق التي استعمروها ، وقامت لهم بعثات عديدة تخصصت في تجميع المخطوطات وأهمها بعثة تاتام التي تخصصت في تجميع نفائس المخطوطات من مصر .

أما مكتبة الأسكوريال فتعود أصولها إلى سلاطين السعديين في المغرب العربي ، والتي انتقلت بأكملها عن طريق القرصنة وهي تزيد على أربعة آلاف مخطوط عربي إلى أسبانيا فأمر الملك فيليب الثالث بوضعها في الأسكوريال[٢١] .

وهذا الشأن نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للمكتبات الكبرى في مختلف الدول الأوربية وكذلك بالنسبة لروسيا ، اذ بجانب بعثاتهم للشرق والتي قادها المستشرق كراتشوفسكي ، أمكن لهم الاستيلاء على نفائس المخطوطات التي حفلت بها الخزائن التاريخية في المناطق التي استولوا عليها في أزبكستان وتركمانستان وتاجيكستان والقرغيز وفي مناطق القوقاز ، وهي الديار التي شهدت نهضة إسلامية كبرى خلال عصور الحضارة الإسلامية وأنجبت مشاهير المفكرين المسلمين من أمثال الفارابي وابن سينا والبخاري والترمذي .

والمخطوطات العربية تتواجد في الولايات المتحدة في عدد كبير من المعاهد المختلفة وأكبر هذه المجموعات ما تضمه الجامعات ، والمكتبات العامة الكبرى ، ومكتبات الجمعيات التاريخية المتخصصة ، والمتاحف . ولقد تولى مجلس الجمعيات العلمية الأمريكية

في عام ١٩٥٠ اصدار دليل لمجموعات المخطوطات في المكتبات الأمريكية[٢٢] تضمن بعض المعلومات عن توفر المخطوطات العربية في عدد من المكتبات الامريكية . تبع هذا مسح شامل قام به الأستاذ كوكيس عواد[٢٣] لمجموعات المخطوطات العربية في المكتبات الامريكية ضمنه معلومات مفصلة عن الكميات العددية لها ومواضع وجودها . ومما يؤخذ على هذا المسح أنه أخفق في تحقيق الكميات على نحو دقيق ، اذ ذكر بأن مكتبة الكونجرس تحتوي على ١٥٤٩ مخطوطة بينما وجد الباحث بنفسه أن مجموع المخطوطات العربية في هذه المكتبة لا تزيد على مائة مخطوطة . صدر بعد ذلك الدليل الذي أخرجه هامر[٢٤] سنة ١٩٦١ متضمناً بيانات مختصرة عن توفر المخطوطات العربية في ست عشرة مكتبة أمريكية تنتشر في سائر أنحاء الولايات المتحدة

الامريكية .

على أن البحث الذي أصدره محمد الهادي سنة ١٩٦٤ [٢٥] يعتبر أشمل دراسة للمصادر العربية في الولايات المتحدة ، والذي يتضمن بيانات مفصلة عن وجود ما يزيد على ١٧,٦٢٧ مخطوطة عربية تنتشر في اثنين وثلاثين مكتبة أمريكية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أعظم مجموعات المخطوطات العربية في الولايات المتحدة هي التي تقتنيها حالياً جامعة برنستون ، والتي جاءتها عن طرق الاهداء من السيد جاريت ، والذي سبق ان اشتراها من الناشر بريل في ليدن . وينسب الدكتور حتى أصل هذه المجموعة إلى السيد أمين بن حسن الحلواني المدني الذي حمل المخطوطات العربية على دفعتين من المدينة المنورة إلى امستردام أحدهما سنة ١٨٨٣ ويبلغ مجموعها حوالي خمسة آلاف مخطوطة والأخرى سنة ١٩٠٤ وتبلغ نفس العدد الأول تقريباً أو باعها إلى الناشر بريل والتي توزعت فيما بعد بين جامعة برنستون وجامعة ليدن والمكتبة الملكية في برلين [٢٦])

وبالإضافة إلى كل تلك المراكز ، فإن الآلاف من المخطوطات العربية لا زالت ضمن محتويات المكتبات الخاصة ، يتداولها الأبناء عن الآباء ، وهي التي تشكل حالياً أساس تجارة اصطياد المخطوطات ، فينشط السماسرة بالاتصال بالأشخاص والأسر التي يعرف تواجد المخطوطات لديهم ، ويروجون لها حتى تجد طريقها إما إلى مكتبة خاصة أخرى أو تستقر في إحدى المكتبات التي تهتم بجمع المخطوطات .

أما النوع الأخير من هذه المراكز فهي المجموعات التي تضمها الاربطة والزوايا والمساجد ، وهي وان كانت تتضائل تدريجياً إلا أن البقية الباقية لا زالت تتمركز حالياً في الدول الإسلامية والعربية ، اذ تجمعت بها أرتال المخطوطات خلال فترات طويلة ، وهي في الغالب من التي اوقفها أصحابها لطلاب العلم الذين كانوا يتمركزون تقليدياً في الأربطة ويتلقون تعليمهم في أروقة المساجد . وهذه المجموعات قد تعرضت أيضاً خلال هذا القرن إلى هجمات شرسة من مصطادي المخطوطات ، وتسربت الآلاف منها كي تستقر في المكتبات العالمية . وعلى الرغم من أن معظم الدول قد أصدرت قوانين لحماية آثارها وتراثها الوطني ، إلا أن نشاط التهريب وظهور عدد من العصابات الدولية المتخصصة في هذا المجال قد أجهضت فعالية تلك القوانين ، فضلاً عن جهل الكثيرين من رجال الجمارك والحدود بأهمية التراث ووجوب المحافظة عليه . ونتيجة لذلك فإن مجموعات هذه الأربطة والمساجد قد تقلصت كثيراً وتسربت منها أهم الأعمال ، ولم تبق إلا القلة الباقية مما أهمله الدهر وعفى عليه .

تلك هي في الواقع خلاصة القسم الأول من هذا البحث ، والتي تتناول — بإيجاز — المواقع التي تستقر فيها المخطوطات العربية .

أما واقع الضبط الببليوجرافي للمخطوطات العربية التي تنتشر حسب ما أسلفنا في مختلف بقاع الأرض ، فإنه يحتل الصدارة في قائمة المشاكل التي تعترض توثيق هذه المجموعات الهامة من مصادر المعرفة البشرية .

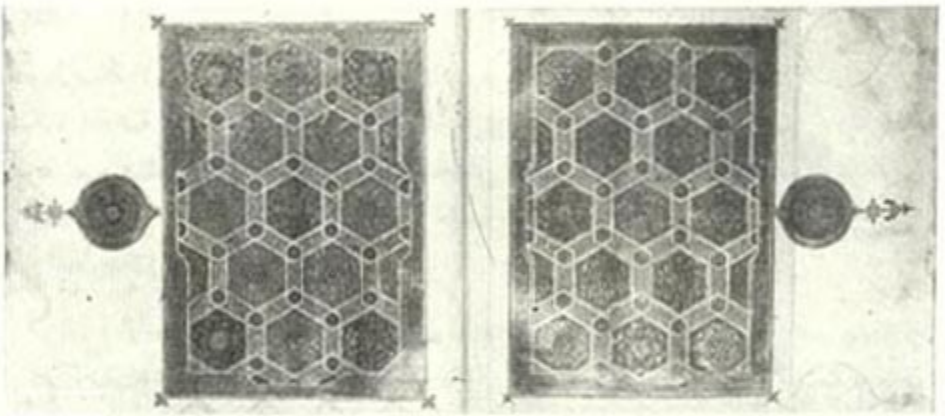

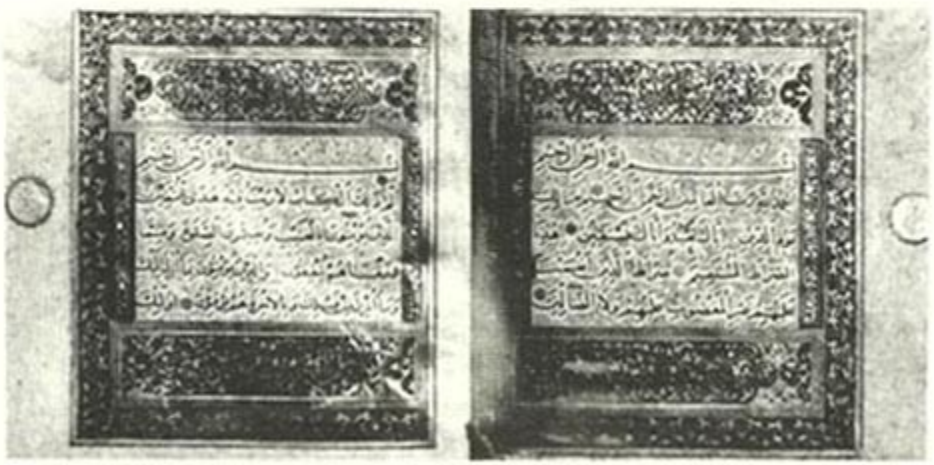

فباستثناء ما تضمنته الفهارس الوصفية للمخطوطات العربية في مختلف المكتبات ، نجد أن مؤلفات الحضارة العربية والإسلامية قد وردتنا أولاً فيما يسمى تصنيفاً بكتب الطبقات والسير والتراجم ، وهي على الأخص في الأعمال التالية :

١ ـــ الفهرست	لابن النديم
٢ ـــ فهرست كتب الشيعة	لأبي جعفر الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ)
٣ ـــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء	لأبي البركات الانباري (٥١٣-٥٧٧هـ)
٤ ـــ معجم الأدباء	لياقوت الحموي (٥٧٥-٦٢٦هـ)
٥ ـــ التقييد في رواة الكتب والأسانيد	لأبي بكر محمد البغدادي (٥٧٠-٦٢٩هـ)
٦ ـــ روضة الأدب في طبقات شعراء العرب	لأبي الطيب الانصاري المخزومي
٧ ـــ اعلام العلماء بأخبار الحكماء	لجمال الدين القفطي (٥٣٦-٦٤٦هـ)
٨ ـــ عيون الأنباء في طبقات الأطباء	لابن أبي أصيبعه (٦٠٠-٦٦٨هـ)
٩ ـــ وفيات الأعيان	لابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)
١٠ ـــ طبقات الأمم	لابن صاعد الثعلبي القرطبي (المتوفي سنة ٤٦٢هـ)
١١ ـــ فهرست الكتب والتأليف	لأبي بكر محمد الأشبلي الاندلسي
١٢ ـــ الوافي بالوفيات	لصلاح الدين ابن ايبك الصفدي (٦٩٦-٤٦٣هـ)
١٣ ـــ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي	لابن تغري بردي (٨٠٣-٨٧٤هـ)
١٤ ـــ ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد	لابن الاكفاني السنجاري المتوفي سنة ٧٤٩هـ
١٥ ـــ تذكرة الحفاظ	للذهبي الدمشقي المتوفي سنة ٧٤٨هـ
١٦ ـــ فوات الوفيات	لابن شاكر الكتبي (٨١٣-٨٧٢هـ)
١٧ ـــ اتمام الدراية لقراء النقايه	للسيوطي (المتوفي سنة ٩١١هـ)
١٨ ـــ بغية الدعّاه في طبقات اللغويين والنحاه	للسيوطي
١٩ ـــ العقيدة البائية في أسامي الكتب العلمية	للقدس (المتوفي سنة ٧١٢هـ)
٢٠ ـــ الدر الكامنة	للعسقلاني
٢١ ـــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة	لطاشي كبرى زاده (المتوفي سنة ٩٦٨هـ)
٢٢ ـــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	لحاجي خليفه (١٠٠٤-١٠٦٧هـ)
٢٣ ـــ ذيل كشف الظنون	لأحمد حافظ زاده (المتوفي سنة ١١٨٠هـ)
٢٤ ـــ الأسفار عن العلوم والأسفار	لجميل العظم
٢٥ ـــ نفح الطيب	للمقري (المتوفي سنة ١٦٢١هـ)
٢٦ ـــ مروج الذهب	للمسعودي
٢٧ ـــ تحفة الأحباب	للسخاوي
٢٨ ـــ أمل الأمل في علماء جبل عامل	لمحمد بن الحسن العاملي (توفي سنة ١٠٣٣هـ)
٢٩ ـــ ديوان الإسلام	لابن الغزي (١٠٩٦ ـــ ١١٦٧هـ)

وواضح من سرد هذا الثبت من المصادر العربية التي تحتوي بين جنباتها الاشارات إلى المؤلفات العربية ان عدداً قليلاً منها قد خصص لأغراض بيليوجرافية كما تعارفنا عليها ، فباستثناء أعمال كل من ابن النديم ، والطوسي ، والاشبيلي ، والقدسي ، وطاش كبرى زاده ، وحاجي خليفه ، وأحمد

حافظ زاده ، وجميل العظم ، نجد أن معظم تلك المصادر قد وردتنا ضمن اطار كتب الطبقات والسير والتراجم وأخبار الرجال .

إلا أن الفهارس بأغراضها الحديثة كأدوات ضبط ببليوجغرافي يراد بها توثيق الأعمال المخطوطة والتعريف بمضامينها ، وبمواضع وجودها عن طريق استخلاص عناصر محددة للوصف لم تظهر في عالمنا إلا في عصر متأخر ، ولم يكن ذلك إلا نتيجة لعاملين رئيسيين :

أولهما : الشعور الوطني والديني بأهمية التراث العربي والإسلامي وضرورة توثيقه .

وثانيهما : جهود المستشرقين للتعرف على كنوز التراث الشرقي .

فقد توقد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شعور وطني وديني أدى إلى اهتمام بعض المفكرين من العرب والمسلمين إلى ضرورة الاهتمام بتراث حضارتهم وذلك نتيجة لجهود الاستعمار في طمس معالم التراث من ناحية ، وما تعرضت له كنوز المخطوطات العربية من نهب وسلب وتجارة رائجة من ناحية أخرى .

كما ان الاستشراق وقد جاء كحركة تعني بدراسة تراث الأمم الشرقية وما خلفته من آثار فكرية وأدبية وفنية قد تمخض عن ظهور عدد كبير من المفكرين الذين انكبوا على دراسة تراث الأمم العربية والإسلامية بما خلفته من آثار ، ولم يكن ذلك ممكناً بدون التعرف على مصادر ذلك التراث ، فاهتم كثير منهم باستخلاص ذلك التراث وفق أسس عصرية نتجت عنها أعمال ببليوجرافية هامة .

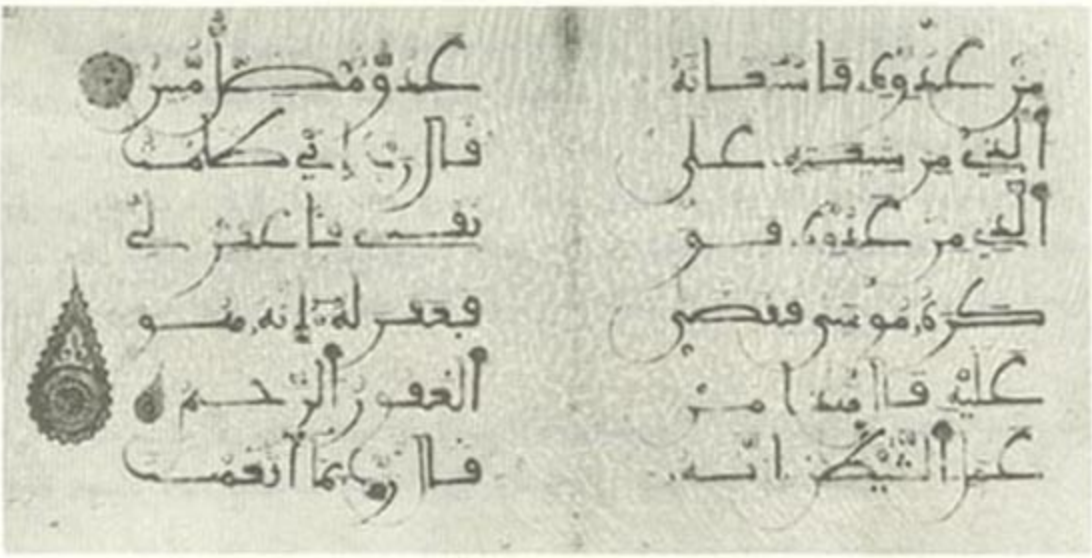

وانطلقت جهودهم في اتجاهين :

الاتجاه الأول كان يهدف إلى رصد وتحقيق مصادر الثقافة العربية والإسلامية عن طريق اصدار أعمال تهتم بتحليلات ببليوجرافية لا تكتفي بتوصيف نسخة واحدة من العمل المخطوط تتوفر في مكتبة واحدة ، بل تعقبت جمع نسخ العمل الواحد مما يتوافر في شتى المكتبات المعروفة في العالم وعملت على توصيفها وتحقيق خواص كل نسخة على حدة ، وأصدرت أحكامها فيما يتعلق بأصول النسخ . وهي في ذلك قد تعدت أغراض الفهارس الوصفية العادية التي تصف مجموعات بعينها تتوفر في مكتبة واحدة . إلى ما هو أشمل من ذلك ، فاهتمت بتتبع تاريخ الثقافة العربية من خلال تحقيق الأعمال التي انتجتها تلك الثقافة مصنفة حسب المواضيع التي يهتم بها كل عمل .

ويتمثل هذا الاتجاه في الأعمال الهامة التي أصدرها كل من شنورر[٢٧] وشوفين[٢٨] وبرغشتال[٢٩] وبروكلمان[٣٠] وغبريالي[٣١] وسوتير[٣٢] وسافاجيه[٣٣] .

أما الاتجاه الثاني فقد عمد إلى الاهتمام برصد الاعمال المخطوطة في المكتبات المعروفة واصدار الفهارس الوصفية للمخطوطات التي تحتويها تلك المكتبات . ولعل الجهود التي بذلها المستشرقون في إصدار فهارس المخطوطات العربية لمكتبات كل من برلين ودرسدن الاهلية ، وجامعة بون ، وليبزغ الأهلية ، وميونخ الاهلية ، والجمعية الاسيوية بفيينا ، والمتحف البريطاني ، والمكتب الهندي بلندن ، والجمعية الملكية الاسيوية ، والجامعة البودليه ، وجامعة كمبردج ، والاهلية بباريس ، والفاتيكان ، والامبروزيانا ، والاسكوريال ، والاهلية بمدريد ، وليدن ، والأكاديمية الملكية في

أمستردام ، وجامعة ابسالا ، ونيويري في شيكاغو ، لدليل على ما قدمه المستشرقون من جهود في هذا المجال .

وبدلاً من أن نتناول بالتفصيل سرد كل تلك الفهارس التي تم اصدارها سواء من قبل المفهرسين والمختصين من العرب والمسلمين أو من قبل المستشرقين ، فإننا نكتفي بالإشارة إلى الأدلة والأعمال الجليلة التي تولت مسئولية رصد فهارس المخطوطات العربية التي صدرت في مختلف بلدان العالم .

فقد قام يوسف اسعد داغر في كتابه الموسوم بـ« فهارس » المكتبة العربية في الخافقين »[٣٤] برصد الفهارس التي تم اصدارها حتى سنة ١٩٤٧ واستعرض نشؤها مبتدئاً بدول العالم العربي وبالأخص في لبنان وسوريا وفلسطين ومصر والعراق ، ثم في دول شمال افريقيا العربية وبالاخص في الجزائر وتونس والمغرب ، ثم في الهند ، ثم في دول الغرب وبالاخص في المانيا وانجلترا وفرنسا وايطاليا والفاتيكان وأسبانيا وهولندا وبولندا وروسيا والدول الاسكندنافية والولايات المتحدة الامريكية . وقد شمل استعراضه اعطاء وصف موجز لكل فهرس مع التركيز على العناصر التي تميزه عن غيره من الأعمال .

كما قام سيزكين في مقدمة كتابه عن تاريخ الآداب العربية[٣٥] برصد فهارس المخطوطات العربية مرتبة حسب أسماء المكتبات تحت الدول والمدن التي تضم تلك المكتبات .

وهي على أية حال تكمل نواقص قائمة داغر ، وتسرد في اختصار عناوين الفهارس والدراسات الوصفية التي تناولت مجموعات المخطوطات العربية التي تنتشر على وجه البسيطة .

واصدر بيرسون في العام ١٩٥٤ دليله البيليوجرافي للمواد الشرقية في المكتبات البريطانية[٣٦] والذي يرصد فيه الفهارس التي تم اصدارها للمخطوطات العربية في المكتبات البريطانية والايرلندية والتي اتبعت بدراسة تتناول المجموعات التي لم يتم فهرستها أو اصدار الفهارس لها بعد . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الدراسة التي نشرها السير فرانسيس في مجلة التوثيق[٣٧] تسلط الأضواء على مختلف الأنشطة التي تقوم بها المكتبات البريطانية وخاصة المتحف البريطاني في مجالات فهارس المخطوطات العربية .

ومنذ العقد الخامس من القرن العشرين نشطت في أوربا بالذات اتجاهات لاصدار قوائم موحدة للمخطوطات العربية ، وكان أولها قائمة فاجدا[٣٨] التي اتخذت لنفسها اتجاها دولياً في التجميع ، تبع ذلك صدور الفهرس الموحد الذي أصدره هويسمان[٣٩] للمخطوطات العربية في العالم والذي صدر عن دار بريل في ليدن سنة ١٩٦٧ .

ولعل من أهم الأعمال التي صدرت حتى الآن في مجال الفهارس الموحدة للمخطوطات والتي لم تكتمل بعد هي القائمة التي تولى اصدارها ولفجونج فويجت في المانيا[٤٠] والتي تهدف إلى رصد جميع المخطوطات الشرقية في سلسلة من المكتبات تنتهي باكتمال القائمة الموحدة للمخطوطات الشرقية .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية ، فعلى الرغم من توفر ما يزيد على ١٧,٦٢٧ مخطوطة عربية تنتشر في ما يزيد على اثنتين وثلاثين مكتبة امريكية ، فإن صورة الضبط الببليوجرافي لهذه المجموعات تختلف بعض الشيء عما هي عليه في أوربا ، اذ بدأ الاهتمام بجمع التراث في الولايات المتحدة في

وقت متأخر ، فضلاً عن أن مختلف الدراسات الاكاديمية فيما يتعلق بالشرق الأوسط هي أيضاً قد بدأت متأخرة ، ولهذا فلا غرابة إذا ادعينا بأن بعض هذه المجموعات لم تنل بعد اهتمام المراكز التي تنتسب إليها . ولعل ما تعرضت له مجموعة المخطوطات العربية بمكتبة الكونجرس الامريكي من اهمال يعد دليلاً على ذلك ، فقد ظلت هذه المجموعة تعاني الاهمال ، حتى قيض الله لها الاستاذ المنجد الذي أسهم بإعداد قائمة مختصرة لمحتوياتها[٤١] .

أما مجموعات مكتبات برنستون ، ويل ، وشيكاغو ، ومؤسسة هارتفورد اللاهوتيه ، وفي يورك العامة ، وفيلاديلفيا الحره ، ونيوبري ، والمكتبة الوطنية الطبية فقد صدرت لها الفهارس المطبوعة ، وأمكن توثيقها بعدد من الأدوات .

أما كيف تطورت ونشأت هذه الأدوات ، فإن البداية جاءت على يد ليتمان الذي حاول في العقد الأول من القرن العشرين نشر قائمة لمخطوطات برنستون[٤٢] والتي أعدت على نفس الطريقة التي اتبعها هوتسما حين أصدر قائمة لنفس المجموعة التي كانت تنتمي للناشر بريل في ليدن[٤٣] تبع ذلك إصدار قائمة مكتبة نيوبري بشيكاغو .

وفي عام ١٩٣٤ أصدر نبيه أمين فارس قائمة أخرى لنفس مجموعة برنستون تحتوي على تفاصيل أدق ، اذ قابل قائمة سلفه بمجموعة المخطوطات واستمد منها مباشرة بعض العناصر الوصفية الدالة[٤٤] وهذا هو وجه الاختلاف عن القوائم السابقة .

وتوالى بعد ذلك اصدار الفهارس الخاصة بالمخطوطات العربية ، فأصدر راندال فهرس مخطوطات مؤسسة هارتفورد اللاهوتية[٤٥] كما أصدر بعد ذلك فهرس مخطوطات مكتبة فيلادلفيا الحرة سنة ١٩٣٧[٤٦] .

وفي عام ١٩٣٨ اشترك كل من فيليب حتى ، ونبيه أمين فارس ، وبطرس عبد الملك في اصدار الفهرس المطول الكامل للمخطوطات العربية في مكتبة جامعة برنستون[٤٧] والذي تميز عن سابقيه بالاسهاب في تغطية العناصر الوصفية المتكاملة التي تستجيب لمختلف حاجات مستعملي المخطوطات .

ثم صدر في عام ١٩٣٩ مؤلف قيم للاستاذ عبوط يتعرض لدراسة تطور الكتابات العربية الشمالية من خلال النسخ القرآنية ، والذي تضمن فهرساً وصفياً للمخطوطات القرآنية في المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو[٤٨] .

تبع هذا صدور عدد من فهارس المخطوطات العربية اما بشكل مفرد لها أو ضمن فهارس تضم جميع المخطوطات الشرقية ومنها على سبيل المثال الفهرس الذي ضم المخطوطات العربية في المكتبة

الطبية الوطنية الامريكية[٤٩] وفهرس المخطوطات العربية بمكتبة جامعة ييل والذي أصدره نيموي سنة ١٩٥٦[٥٠].

أما في عالمنا العربي، فإن واقع الضبط الببليوجرافي للمخطوطات العربية على ما توفرت له من تجارب وما صدرت له حتى الآن من فهارس، فيمكن أن يوصف بشيء من المرارة، ذلك أنه على الرغم من أن المخطوطات تعتبر من أهم عناصر التراث الحضاري لهذه الأمة، إلا أننا لا زلنا نعاني من غفلة، ولا نكاد نستبين مدى ما تمثله هذه المصادر من أهمية بالنسبة لتراثنا ووجودنا، ناهيك عما نواجهه من تحديات تعتصر عالمنا العربي من أطرافه المختلفة، وما نتعرض له من غزو ثقافي من مختلف الاتجاهات.

وقد نعزو هذه المرارة إلى كوننا نهمل في حين يهتم الآخرون وان هذه المصادر ليست إلا نتاج ماض هذه الأمة التليد، فهل يغفر لنا أي تقصير في هذا الشأن؟

وحتى نكون منصفين، فإن علينا أن نستعرض — بإيجاز — واقع الضبط الببليوجرافي للمخطوطات في المكتبات العربية من خلال استعراض أهم الأحداث والمحاولات الاقليمية في هذا المضمار.

فقد تقرر في عام ١٩٤٦ انشاء «معهد احياء المخطوطات» التابع لجامعة الدول العربية بغرض جمع فهارس المخطوطات من شتى دول العالم واصدار فهرس موحد بها، وكذلك تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية لوضعها تحت تصرف العلماء، والاهتمام بنشر التراث المخطوط واصدار نشرة دورية بما يتم نشره وتحقيقه.

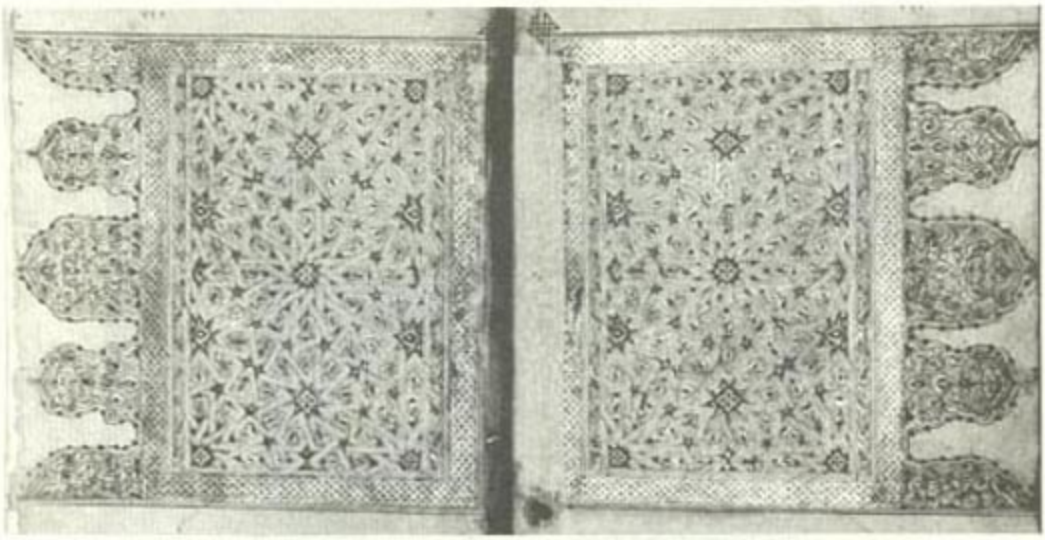

وفي المؤتمر الثقافي الذي عقد بالاسكندرية في أغسطس ١٩٥٠ تقرر تكوين لجنة من المختصين لحصر المخطوطات ، واختيار ما ينبغي تقديمه للنشر ، واصدار سجل لكتب التراث العربي . كما وافق مجلس جامعة الدول العربية في ١٩٥٢/٩/٢٣ على اصدار نشرة سنوية بالمخطوطات المصورة لتوزيعها على العلماء . كما وافق المجلس في عام ١٩٥٥ على اصدار توصية للحكومات العربية لحثها على توثيق وتسجيل المخطوطات العربية لديها واصدارها في فهارس متخصصة .

وفي أكتوبر ١٩٦٢ عقدت الحلقة الاقليمية الأولى للبيليوجرافيا والتوثيق وتبادل المطبوعات في العالم العربي والتي نظمتها اليونسكو بالتعاون مع المجلس الاعلى للعلوم في الجمهورية العربية المتحدة آنذاك وانتهت إلى تشكيل لجنة خاصة لدراسة ما يتصل بالمخطوطات العربية واصدار القوائم البيليوجرافية لها ، وكذلك أوصت بتوحيد عناصر الوصف البيليوجرافي للمخطوطات .

ثم عقدت في اكتوبر سنة ١٩٧١ الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية في دمشق وانتهت إلى ضرورة مسح المخطوطات في أرجاء الوطن العربي واصدار الفهارس لها وتيسير استعمالها من قبل العلماء والباحثين ، وضرورة الاهتمام والمحافظة عليها وترميمها وصيانتها .

وان نظرة فاحصة لنتائج كل هذه المحاولات وما نتجت عنها من قرارات وتوصيات يمكن أن تشجعنا إلى ابداء الخلاصات التالية :

أولاً : لا شك في أنه قد تم اصدار العديد من الفهارس والقوائم الخاصة بحصر المخطوطات العربية ، وبالاخص تلك المجموعات التي تتميز بالنفائس ، أو التي تضمها بعض المكتبات

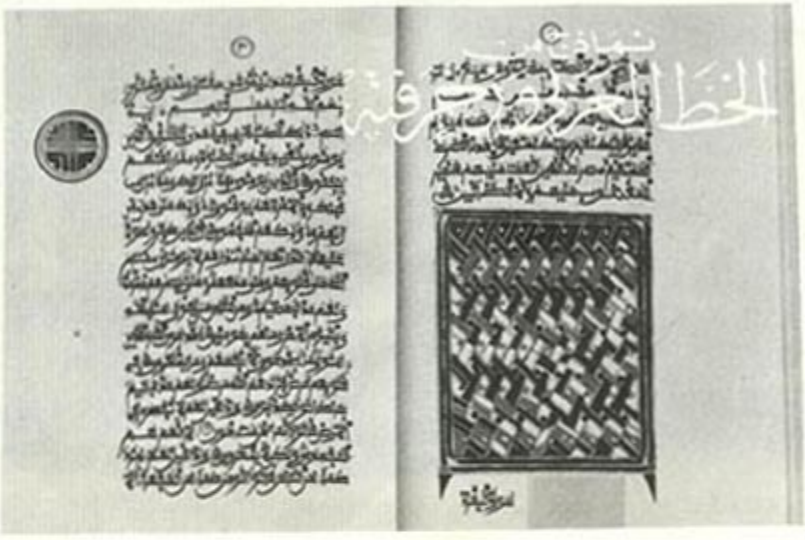

الشهيرة ، كالظاهرية في دمشق ، ودار الكتب القومية في مصر ، والصادقية بالزيتونة ومعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بمصر ، ومخطوطات البصرة ، ودار الكتب اللبنانية ببيروت ، وخزانة القرويين بالمغرب ، ومكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، ومجموعة محفوظ بالكاظمية ، ومكتبة الجلبي بالموصل .

... ولكن ومع كل ذلك فلا زالت المئات من المجموعات الأخرى التي تتبعثر هنا وهناك في أرجاء العالم العربي غير مفهرسة ولم تعد لها القوائم بعد . وهذه وان كانت ظاهرة في بعض البلدان العربية كاليمن ودول الخليج العربي والسودان وليبيا إلا أنها تنطبق أيضاً على بعض المكتبات في كل من سوريا والعراق ومصر ودول شمال افريقيا .

ثانياً : يعود كثير من الجهود في اصدار القوائم والفهارس للمخطوطات العربية إلى اهتمامات فردية ، فقد نشط خلال هذا القرن عدد من المهتمين ممن آلوا على أنفسهم مهمة اصدار الفهارس الوصفية ودفعوا بها إلى حيز الوجود . وعلى سبيل المثال نذكر بعضاً من هؤلاء ومنهم أحمد تيمور ، كرد علي ، الأب قنواتي ، ومحمد طلس ، اسامه النقشبندي ، عبدالله الجبوري ، كوركيس عواد ، يوسف داغر ، صلاح المنجد ، فؤاد السيد ، لطفي عبد البديع ، ابراهيم شبوح ، حبيب الزيات ، حسنى الكسم ، صادق المالح ، يوسف العشي ، ناصر الدين الألباني ، فقد أحس معظمهم بالحاجة الماسة إلى هذه الأدوات ، وكانت لمبادراتهم الريادة في هذا الميدان .

ثالثاً : كما نشطت بعض المكتبات والمؤسسات الحكومية والاقليمية في اصدار الفهارس ووضع المناهج الوصفية لها ، ونذكر منها على سبيل المثال جهود كل من :

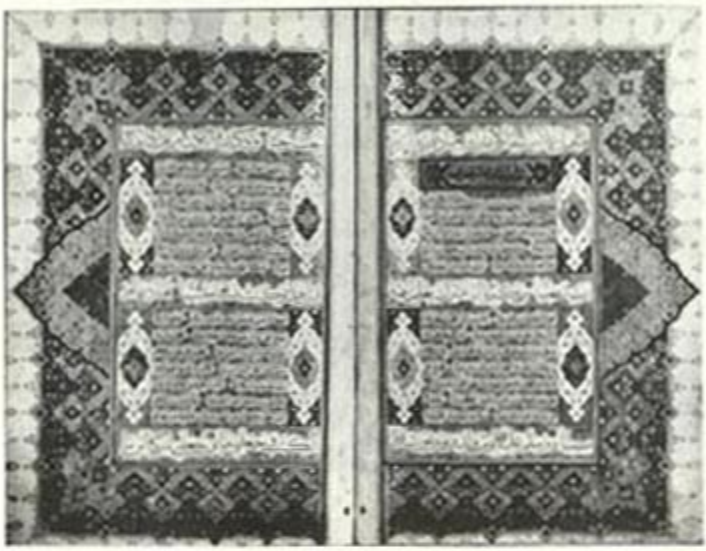

- معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية .
- مكتبة الظاهرية بدمشق .
- دار الكتب القومية بمصر .
- المعهد العالي للبحوث بالمغرب .
- المتحف العراقي .
- المجمع العلمي العراقي .
- المجمع العلمي السوري .
- المجمع العلمي المصري .
- جامعة الأزهر .

سواء بما بذلته في اصدار الفهارس الخاصة بها أو بما شاركت فيه من أمور تتعلق بالعناية والاهتمام بالمخطوطات العربية .

على أن كل هذه المحاولات التي تعرضنا لها في السطور الماضية وان كانت تتفق من حيث الهدف في اصدار الفهارس الوصفية للمخطوطات ، إلا انها قد اتصفت بالتباين والاختلاف من حيث المنهج وعناصر الوصف ، ودرجات التحليل بالنسبة لمضمون المخطوطات . ولعل من الأسباب التي أدت إلى هذا التباين والاختلاف غياب التقنينات المعيارية لعناصر الوصف الببليوجرافي للمخطوطات من ناحية ، وكذلك افتقار المخطوط إلى تقنينات شكلية بالنسبة لاخراجه من ناحية أخرى . ولهذا — لا سيما واننا نعرف انه من الصعب وضع معايير مقننة

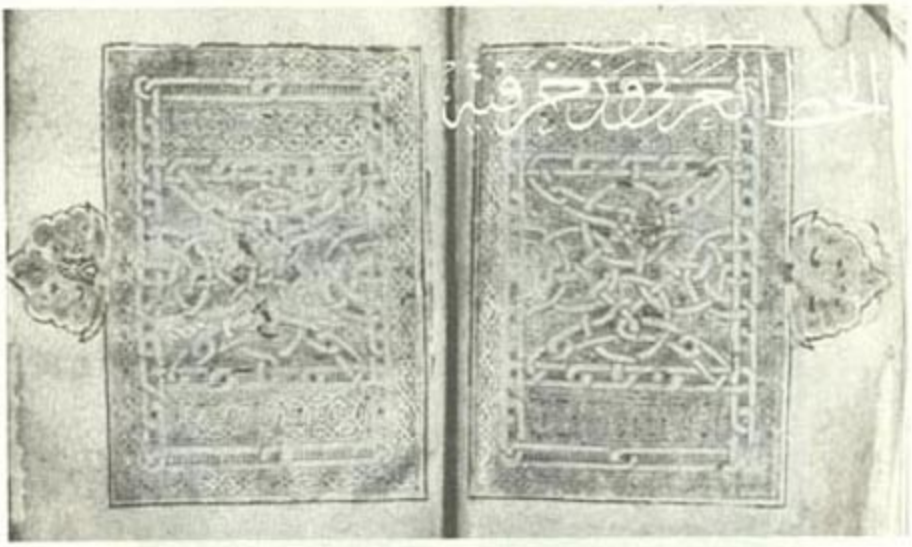

للوصف الببليوجرافي للمخطوطات بصفة عامة — فقد فضلنا أن نصنف تلك المحاولات على النحو التالي :

أولاً : الفهارس المطولة
ثانياً : الفهارس المختصرة .

وعلى الرغم من أن كلا النوعين يهدفان بالدرجة الأولى إلى غرض واحد الا وهو توثيق وجود المخطوطات في موقع واحد ، وذلك بحجة أن مهام الفهارس ان هي الا أدوات تؤكد وجود المادة ، ومن ثم تعرض إلى أوصافها الدقيقة التي تميزها عن مادة أخرى مشابهة لها ، وان الفهارس أدوات ايجابية تصنف خلال عناصر معينة أهم ما يتفرد به المخطوط ، وتحدد موقعه ضمن مجموعة واحدة أو في مكتبة واحدة ، إلا أن الفهارس المطولة قد تتفوق وتتميز في بعض الأمثلة عن الفهارس المختصرة بتلبيتها حاجات ببليوجرافية تفيد في أغراض التحقيق .

على أن التعميم في اصدار الفهارس المطولة أمر لم يتحقق أبداً ، اذ ان النماذج التي صدرت حتى الآن تعد على الأصابع ، ويمكننا في سياق هذا البحث أن نسلط الضوء على نموذجين صدر أحدهما في أوربا والآخر في العالم العربي .

فقد تميز فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الاهلية[٥١] والذي صدر بين سنتي ١٨٨٧ — ١٨٩٩ بجهود المستشرق أهلورد بالأصالة من حيث التدقيق في اكتمال العناصر الوصفية واعطاء التفاصيل الببليوجرافية حقها مما جعل هذا العمل يحقق أدق الفروق

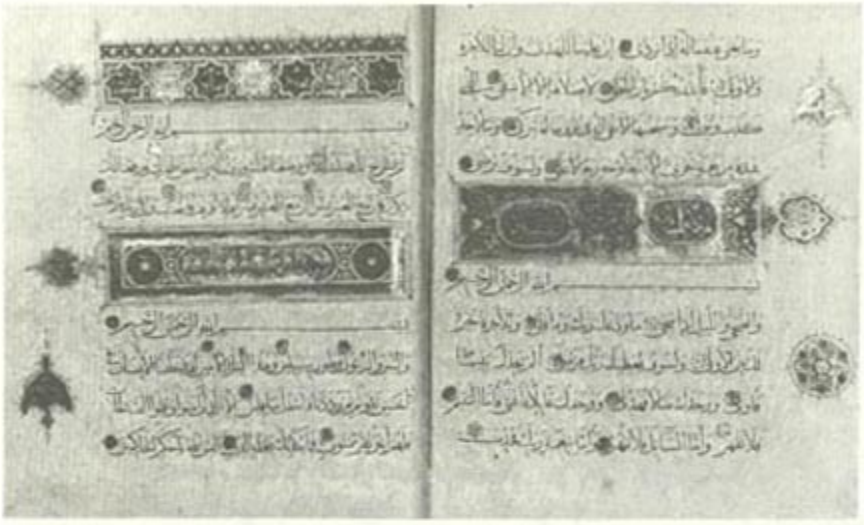

البيليوجرافية بين النسخ المختلفة للعمل الواحد ، مع اعطاء تفاصيل حول أي من المخطوطات قد تم نشرها وتحقيقها . ويعد هذا العمل في موقع الصدارة من مجموع الفهارس التي صدرت حتى الآن للمخطوطات العربية .

أما في العالم العربي ، فإن فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية الذي أصدره الدكتور يوسف العشر[٥٢] يعد من أهم أعمال الفهارس التي صدرت حتى الآن في العالم العربي ، اذ انه اعتمد الاطالة والتحقيق في كثير من الأمور البيليوجرافية ، فعمد إلى تحليل مضمون المخطوطة والموازنة بينها وبين غيرها من الأعمال المماثلة ، ومقابلة النسخ المخطوطة بالنسخ المطبوعة ، وتحديد الفروق فيما بينها ، الأمر الذي جعله يستغرق في اخراجه وقتاً كبيراً ، فلم يتمكن إلا من اصدار فهرس لكتب التاريخ دون أن يسعفه الوقت لاتمام غيره ، أو أن يبرز من يستطيع اكمال العمل على النحو نفسه .

على أن الغالبية العظمى من الفهارس التي صدرت حتى الآن يمكن أن تندرج تحت لواء الفهارس المختصرة ، ولعل الأسباب الرئيسية في هذا الاتجاه هو صعوبة اتمام الفهارس المطولة بما تستغرقه من وقت طويل ، وبما تتطلبه من نوعيات معينة من المحققين ، فضلاً عن أن الكميات العددية الهائلة لهذه المخطوطات قد تجعل من المستحيل على أي محقق أو مفهرس أن يأتي إلى اتمامها في وقت معقول .

وبالإضافة إلى ذلك فإن تكاليف الطباعة والتصحيح والمراجعة واخراج الفهارس على نحو مفصل قد أضحت من المشاكل الرئيسية ، وفي هذا يقول بيرسون : «ان من أسباب عدم اصدار الفهارس هو التكاليف المرتفعة للطباعة وخاصة للحروف الشرقية وغير اللاتينية ،

فضلا عن الزيادة المستمرة لأعمال ادارية وجد المكتبيون أنفسهم مطالبين بها باستمرار .

ولهذا فقد وجدوا أنفسهم في ضيق من الوقت وشح في الأموال مما جعلهم يصرفون النظر عن إصدار فهارس مطولة للمخطوطات »[٥٣]

أما نيموي الذي أصدر قائمة للمخطوطات العربية في مكتبة جامعة ييل فيقول في مقدمة هذا العمل ما ترجمته :

« ان تكاليف الطباعة المرتفعة جعلتنا مقيدين في اخراج هذا العمل بذكر أهم المعلومات الببليوجرافية ، والتي تشير في مجملها إلى المؤلف والعنوان والتاريخ والموضوع بالنسبة لكل مخطوطة . كما أن عامل الوقت الذي أخذ يقيدنا بقيود والتزامات أخرى جعلنا نصرف النظر عن الفحص الكامل للعمل الماثل بين أيدينا صفحة بصفحة »[٥٤]

على أننا إذا تتبعنا قراءة المقدمات التي تتصدر جميع الفهارس التي صدرت حتى الآن فنجد كل الأسباب والمشاكل التي يتعرض لها كل من ولج هذا الميدان ، وهي في مجموعها تتفق في صعوبة فهرسة المخطوطات ، وارتفاع التكاليف ، والعامل الزمني الذي يستغرقه اعداد العمل واخراجه ، وقدرة العاملين به ، كما اننا لاحظنا أن جميع الذين تولوا اصدار الفهارس المختصرة يضعون الوقت الطويل الذي تستغرقه الفهارس المطولة في ميزان الحجه ، ويبررون الاتجاه نحو الاختصار ابتعاداً عن التعقيد ، وان الاطالة في وصف النسخ ومقابلتها هي من أعمال المحقق ، وان مهام الفهارس ليست إلا مهام ايجابية توثق وجود المادة وتصفها بما يميزها عن غيرها من النسخ .

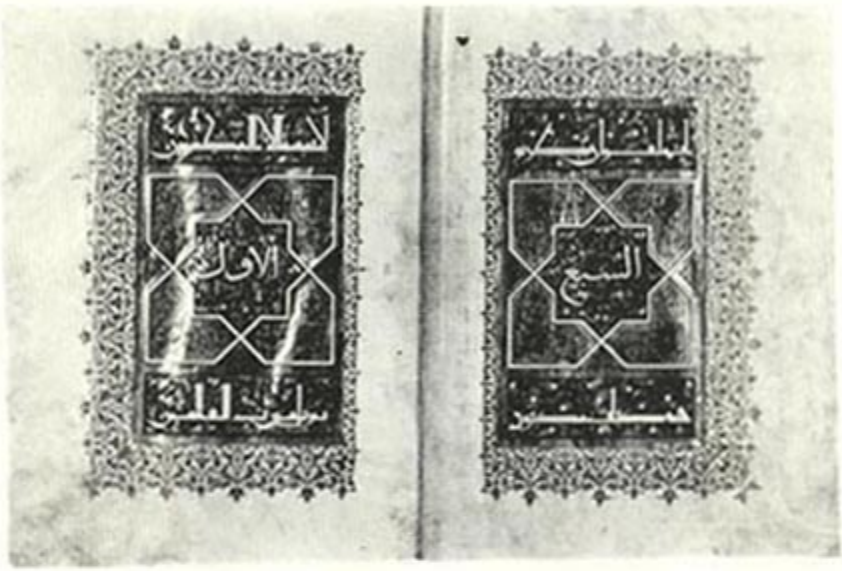

ويبدو أن هذه المشاكل بالإضافة إلى المشاكل الخاصة بعناصر الوصف البيليوجرافي للمخطوط كانت من الأسباب التي أدت إلى اعراض عدد كبير من المكتبات عن اكمال مشاريع الفهرسة بالنسبة لمخطوطاتها لمدد طويلة ، فقد أهملت مكتبة البودليان اصدار فهرس لمخطوطاتها العربية التي أودعت بها منذ عام ١٨٣٤ ، وظلت مجموعة المخطوطات العربية بجامعة كامبردج على النحو الذي أودعت به دون أن ترى النور . كما ان المئات من المجموعات الهامة كمجموعات الحرمين الشريفين ومجموعات اليمن وغيرها من مناطق العالم العربي لا زالت مجهولة دون ان تصدر لها أدوات الضبط المطلوبة .

ولقد اضطلع عدد من المستشرقين في أوربا بالذات خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمهام اصدار عدد من الفهارس المختصرة لأهم المجموعات التي تتمركز في المكتبات الأوربية الكبرى ، وهي وان تعرضت لانتقادات آنذاك نظراً لاقتصارها على أدنى العناصر الوصفية ، إلا أنها قد أدت الأغراض المنوطة بها فضلاً عن انها قد أتت على أكبر عدد من المجموعات المعروفة وعملت على ضبطها بالقدر الذي تحتاجه مكتبة اليوم .

ومن المنطلق نفسه كانت الفهارس المختصرة هي الوسيلة التي تم بها ضبط معظم المجموعات التي تتركز في دول العالمين العربي والإسلامي ، وهناك عدد من الكتابات النقدية التي تتعرض للكيفية التي صدرت بها بعض قوائم المخطوطات العربية المختصرة من حيث أنها كانت تأتي بايجاز على أهم العناصر الوصفية كالمؤلف والعنوان والتاريخ والموضوع دون ان تحلل وتقابل وتقارن ، ولكن عذر تلك المؤسسات التي أصدرت القوائم على مثل ذلك النحو كان دائماً يتلخص في أمرين :

أحدهما : الكثرة العددية للكتب المخطوطة .
والآخر : ضرورة الضبط من أجل الاستعمال والاستفادة .

ومن هنا فإننا نرى بأن الأولوية تتعلق بضرورة الضبط الببليوجرافي لهذه المصادر ، فلا يعقل أبداً أن تستمر مئات الآلاف من المصادر المخطوطة في حكم المجهول دون ان يعرف العالم عنها شيئاً ، ومن ثم يأتي دور التقنين بالنسبة لعناصر الوصف ، وما هي أهم العناصر الوصفية الببليوجرافية بالنسبة للمخطوط العربي ؟ والاجابة على هذا السؤال يمكن أن تطرح عدداً من العناصر التي لا يجب أن تتنازل عنها أية قائمة ، وهي في الغالب تستجيب لحاجات متعددة لدى من يستخدم هذه المخطوطات . أما درجات التحليل بالنسبة لهذه العناصر فلا يجب أن تتعدى الاغراض الايجادية أما المقابلة والتحقيق والمقارنة

والتحليل المطول فبجانب انها تفوق قدرات الغالبية العظمى ممن يعدون حالياً لمثل هذه المهمات ، فإنها مسئوليات يضطلع بها من يتولى تحقيق المخطوطات ونشر نصوصها

وقد نجانب الصواب اذا ادعينا بأن المحققين وناشري النصوص يلتزمون دائماً ويأخذون بالحقائق التي تبرزها الفهارس المطولة ، فهم غالباً ما يبنون نتائجهم بدراسات اضافية تتعدى كثيراً تلك التي تخلص اليها الفهارس الببليوجرافية المطولة .

ومن هنا فإننا من أنصار الفئة العملية التي تؤكد أدوار الفهارس أياً كانت على أنها أدوات ببليوجرافية ايجادية أهم أهدافها ان تصل القارىء بما يريد ، وذلك في اطار عناصر محددة للوصف تميز أوصاف المادة بشكل دقيق ، وتعطى

الفروق الكافية للتمييز بين النسخ العديدة للعمل الواحد .

ثم تبقى المشاكل التي تتعلق بعناصر الوصف البيليوجرافي ؟ ما هي هذه المشاكل ؟ وكيف يمكن التغلب عليها

ولقد طرح الحلوجي[٥٥] عدداً من المشاكل ، وخص فيما يتعلق بعناصر الوصف ثلاث مشاكل رئيسية :

- **أولها** : مشكلة مداخل المؤلفين .
- **وثانيها** : مشكلة العناوين .
- **وثالثها** : مشكلة التاريخ .

واستعرض مشكلة المداخل وخاصة فيما يتعلق بالمؤلفين القدماء على أساس صعوبة تقنين استعمال اللقب باعتباره غير قابل للتعميم المطلق ، اذ من الممكن ان يشتهر المؤلف باسمه الحقيقي . كما يصعب الادخال بالاسم الحقيقي ، لأن في ذلك مضيعة للباحث الذي قد يجد أيضاً صعوبة في معرفة الاسم الحقيقي . كما ناقش قضية التفصيل في سرد اسماء المؤلفين ، مطالباً بوضع حدود مقننة لأغراض التوحيد كاعتماد الاسم الثلاثي مضافاً إليه اللقب أو الشهرة .

كما استعرض مشاكل العنوان وخاصة فيما يتعلق باشتهار المخطوط بغير عنوانه الأصلي ، وتعدد عناوين بعض المخطوطات ، ووجود أكثر من عنوان في نسخة المخطوط الواحد .

واستشهد بعدد من النماذج التي توضح هذه المشاكل الشاذة بالنسبة لعناوين المخطوطات العربية .

أما بالنسبة لمشكلة التاريخ ، فقد استعرض عددا من النماذج ابتداء من عدم وجود تاريخ للنسخة أو سقوطه ، إلى الكيفيات والنماذج التي طرح فيها ذكر التاريخ ، واستشهد ايضا بنماذج مختلفة توضح صعوبة هذا الأمر .

ويقيني أن حل هذه المشاكل بالإضافة إلى عدد آخر من المشاكل التي تتعلق بعناصر الوصف الببليوجرافي للمخطوطات العربية كالخط ، والمادة التي كتب عليها المخطوط ، والخطاط ، والحجم ، والسطور ، والبدايات ، والنهايات ، والتوضيحات ، والتذهيبات ، والتجليد ، والتوقيعات ، والأختام ، وغيرها من العناصر ، تتطلب جهوداً ذات شقين :

أولها : يتعلق بالتقنينات .
والآخر : يتعلق باصدار أدوات مساعدة .

ويجدر هنا أن نشير إلى أن مشكلة المخطوطات العربية ، هي مشكلة عربية ، ويجب أن تجد حلولها داخل الاطار العربي ، وضمن مؤسساته العلمية المتخصصة ، ومن يعملون فيها من الأكفاء . كما يجب الا نتوقع الحلول الناجعة من خارج الحدود العربية ، ذلك ان المخطوط العربي ينفرد بصفات أصيلة لا تتوفر في مثيله في اللغات الأخرى ، وهي صفات يستمرؤها العربي أكثر من غيره ، ونحن أجدر بتحليل تلك الصفات وابرازها كعناصر هامة تدخل في مكونات وصفه . وتلك هي الحقيقة الأولى التي يجب أن نقتنع بها .

أما بالنسبة للتقنينات ، فيجب أن تستجيب للعناصر التالية :

أولاً : التعريفات .
وهي التي تحدد بدقة تعريف المخطوط العربي بأشكاله ونماذجه المختلفة ، وتضع القواعد التي تحكم المجاميع وسائر أشكال المخطوطات العربية .

ثانياً : عناصر الوصف الببليوجرافي :
ما هي هذه العناصر؟
ودرجات ترتيبها في الوصف .

ثالثاً : القواعد التي تحكم تحديد وتسجيل عناصر الوصف المختلفة مثل :

المؤلف :
العنوان :
التاريخ :
الخط :
الحجم :

.... الخ .

وعند وضع هذه التقنينات يجب ألا ننسى الهدف العام الذي نصدر من اجله هذه الفهارس ، هل تتعدى أهدافنا وصف المادة الماثلة بين أيدينا إلى مقارنتها بما يتوفر لها من نسخ أخرى بحثاً عن النسخة الأصلية أو النسخة الأُم . أم أن الفهارس أدوات ايجادية تنتهي بايصال الباحث إلى عمل ما في موقع ما . تلك استفسارات اساسية لا بد من الاجابة عليها قبل وضع التقنينات . والاجابة عليها لا يمكن أن تكون فردية ، كما يجب الا تكون بعيدة عن واقع المشاكل الأخرى التي تعترض طريق الضبط الببليوجرافي لهذه المصادر الأساسية في التراث العربي كارتفاع التكاليف ، وندرة الأيدي المؤهلة للقيام بهذه الأعمال ، وضخامة عدد المواد المراد ضبطها ، وحاجة الباحثين الملحة للتعرف على هذه المصادر والتنقيب فيها .

أما بالنسبة للأدوات المساعدة ، فإن الاتفاق على تقنينات موحدة سيؤدي حتماً إلى اصدار عدد من الأدوات المساعدة التي تسهل تطبيق التقنين وخاصة في مجالات مداخل المؤلفين ، والعناوين ، والتواريخ الخ ...

ففي حالة الاقتصار على الاسم الثلاثي مضافاً إليه اللقب أو اسم الشهرة يمكن أن تؤدي إلى وضع قائمة موحدة بالأسماء العربية تعتمد فيها ألقاباً موحدة ، تقبل كمداخل مقننة للأسماء العربية ، وتحل الاحالات مشاكل الاختلاف في قبول التقنين من بلد لآخر أو شخص لآخر .

كما يمكن وضع قوائم خاصة بالعناوين المعتمدة تحال اليها الأشكال الأخرى من العناوين سواء تلك التي اشتهرت بغير العنوان الأصلي ، أو التي تعددت عناوينها أو تردد لها أكثر من عنوان . وهذه وان تطلب تطبيقها بعض التعسف إلا أنها وسيلة للتوحيد ، والاحالات من مختلف أشكال العنوان إلى العنوان المعتمد يمكن أن تخفف من درجة التعسف ، وتستجيب لحاجات المستعمل .

أما التاريخ فمع تعدد مشاكله إلا أنه بالامكان وضع بعض الأدوات التي تخفف من حدة تلك المشاكل وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ رجوعاً إلى أحداث معينة كالفيل والطوفان وانهيار سد مأرب إلى غير ذلك من الأحداث ، فبالامكان تقدير سنوات محددة لتلك الأحداث توضع في جداول يمكن استشارتها عند تحديد تاريخ المخطوط . كما يجدر في الوقت نفسه ان نتساءل لماذا لا يوضع التاريخ بنفس الطريقة التي ذكر بها في المخطوط ؟ أليس في ذلك ما يميز نسخة عن أخرى ، ومن ثم نترك التحقيق في أمر التاريخ للمحقق الذي يهمه اكتشاف الأصول والامهات بالنسبة للمخطوط المراد تحقيقه .

ولعل آخر ما يمكن أن أضيفه في هذا البحث هو أن مئات المجموعات التي تشكل في مجموعها عشرات الألوف من المخطوطات لا زالت مجهولة ، وذلك على الرغم من وجودها في مكتبات عالمية ، وهي التي لم تستطع حتى يومنا هذا اخراج الفهارس المناسبة لها ، فضلاً عن ان العالم العربي والإسلامي لا زال يزخر بالآلاف من المخطوطات التي لم تجد النور بعد على

الرغم من انها جزء لا يتجزا من مكتبات كبيرة ومعروفة . أما المجموعات الخاصة التي لا تزال تحت أيدي الأفراد وهي — على ما أعتقد — من نوادر المخطوطات فإنها تشكل أساس تجارة اصطياد المخطوطات في الوقت الحاضر .

وما لم تتضافر الجهود المخلصة سواء من قبل المؤسسات الاقليمية المعينة أو المؤسسات العلمية المسئولة عن التراث في مختلف دول العالم العربي ، وتعمل على وضع الحلول الناجعة لمشاكل الضبط الببليوجرافي للمخطوطات العربية بطريقة عملية قابلة للتنفيذ ، فإن مستقبل هذه المواد لن يكون بأحسن من حاضرها حفظاً واستعمالاً .

قائمة المراجع

(١) كوركيس عواد . خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٤٨ ص ٤٢ — ٧٦ .

(١٧) صلاح الدين المنجد . معجم المخطوطات المطبوعة . بيروت دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢ ، ص ٧

(١٨) فيليب دي طرازي ، خزائن الكتب العربية في الخافقين . المجلد الثاني . بيروت ، دار الكتب . ١٩٤٧ .

(١٩) يوسف اسعد داغر ، فهارس المكتبة العربية في الخافقين . بيروت ، مطابع صادر زكاني ، ١٩٤٧

(٢٠) فؤاد سيزكين . تاريخ التراث العربي . نقل إلى العربية فهمي أبو الفضل . المجلد الأول ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . ١٩٧١ ، ص ١ — ٩٢ .

(٢١) يوسف أسعد داغر . فهارس المكتبة العربية في الخافقين . بيروت ، مطابع صادر زكاني ، ١٩٤٧ ص ٩٥ .

(٢٣) كوركيس عواد . المكتبات العربية في دور الكتب الامريكية ، بغداد ، مكتبة الرابطة ، ١٩٥١ .

(٣٤) يوسف اسعد داغر . فهارس المكتبة العربية في الخافقين . بيروت ، مطابع صادر زكاني ، ١٩٤٧ .

(٣٥) فؤاد سيزكين — تاريخ التراث العربي . نقل إلى العربية فهمي أبو الفضل المجلد الأول . القاهرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ص ١ — ٩٢ .

(٤١) صلاح الدين المنجد . فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس ، بيروت دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٩ .

(٥٢) دار الكتب الظاهرية . فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . وضعه يوسف العش دمشق ، المجمع العلمي العربي . ١٩٤٧م .

(٥٥) عبد الستار الحلوجي . فهارس المخطوطات . الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية . دمشق وزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية السورية ، ١٩٧٢ ، ص ٢٨٤ — ٣٠٠ .

2 — H. O. Serverance. " Three of the Earliest Book Catalogs.' Public Libraries. 10 (1905) 116-117.

3 — R. F. Strout. "The Development of the Catalog and Cataloging Codes. "Library Quarterly. 26 (October, 1956) 254-275.

4 — Edward Edward.s Memoirs of Libraries; Including a Handbook of Library Economy. New York : Burt Franklin. 1964. (Burt Franklin Bibliography & Reference Series 72) 2 Vols.

5 — Elmer D. Johnson. A History of Libraries in the Western Vorld. New York : Scarecrow. 1965.

6 — James Westfall Thomson. The Medieval Library. reprinted with a supplement by Blanche B. Boyer. New York : Hafner Publishing Company, 1967. p.p. 347 - 370.

7 — Alfred Hessel. A History of Libraries, translated, with supplementary material by Reuben Peiss. New Brunswick. N. J. Scarecrow, 1955.

8 — J. W. Clark. Care of Books. Cambridge, England : The University Press, 1909.

9 — Archer Taylor. Book Catalogues : Their Varieties and Uses. Chicago : The Newberry Library, 1957.

10 — Edward A. Parsons. The Alexandrian Library : Glory of the Hellenic World. New York : American Elsevier Publishing Company. 1967.

11 — F. J. Witty. "Pinakes of Callimachus." Library Journal. 28 (April, 1958, 132-136.

12 — N. R. Ker. ed. Medieval Libraries in Great Britain. 2nd ed. London : The Royal Historical Society, 1964.

13 — E. Savage. Old English Libraries. The Making. Collection and Use of Books During the Middle Ages. London : Metheson, 1911.

14 — Ernest Cushing Richardson. The Beyinning of Libraries. Hamden. Conn. : Archon Books, 1914.

15 — Olga Pinto. "Libraries of the Arabs During the Time of the Abbasides. "Pakistan Library Review. 2 (March, 1959) 44-72.

16 — D. M. Norris. A History of Cataloging and Cataloging methods 1100-1850 : With an Introductory Survey of ancient Times. London : Grafton, 1939.

22 — American Council of Learned Societies. Collections of

Arabic Manuscripts in the United States and Canada, first report of the Survey made in July 1950 by Mortimer Graves. Washington. D. C. : August 10, 1950

24 — Philip M. Hamer. A Guide to Archives and Manuscripts in the United States. New Haven. Conn. : Yale University Press. 1961. .....£££

25 — Mohammad el-Hadi. Arabic Resources in the United States. Dissertation. University of Illinois. Graduate Library School. 1964. pp. 79-100. .....

26 — Princeton University. Library. Descriptive Catalog of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts in the Princeton University Library, Complied by Philip Bitti, Nabih Amin Aaris and Butrus Abdul Malik. Princetea : The University, 1938. .....

27 — Fred Schnurrer. Biblioteca Arabica. Halae, 1811.

28 — V. Chauvin. Bibliographic des ouvrabes arabes ou relatifs aux Arabes publies dans L'Europe Chretienne de 1810-1995. 12 Vols.. Liege, 1892-1909.

29 — Hammer Pergstall. Literaturgeschite der Arab Von ihre Beginne bis 24 Ende de X11. Vienn, H. St. Druck, 1850 - 1856. .....£££££

30 — Karl Brockelmann. Geschichte der Arabischen Literature. 2nd ed. Leiden : E. J. Brill, 1937 - 42.

31 — J. Gabrielli. Manuele de Bibliografia Musulmana Generale Rome, 1916. .....££

32 — H. Suter. Die Mathematiker und Astronomen der Arabs. Leipzig. 1900 .....££

33 — J. Sauvaget. Introduction al L'Histoire de L'Orient Musulman. Paris, Adrien - Maisonneuve. 1943.

36 — J. D. Pearson. Oriental Manuscript Collections in the Libraries of Great Britain and Ireland. London : The Royal Asiatic Society, 1954. .....

37 — F. C. Franis. "The Catalog of the British Museum: Oriental Printed Books and Manuscripts. " Journal of Documentation. 7 (1951) 170-183.

38 — G. Vajda. Repertoire des Catalogues et Inventaires de Manuscripts Arabes. Paris : Vente au Service de Publications du C. N. R. S. 1949.

39 — A. J. W. Huisman. Les Manuscrits Arabes dan le Monde:

Une Bibliograprie Des Catalogues. Leiden. E. J. Brill. 1967.

40 — J. D. Pearson. Oriental and Asian Bibliography; An Introduction with Some Reference to Africa. London : Crosby Lockwood. c. 1966. pp. 80 - 81.

42 — Enno Littmann. A List of Arabic Manescripts in Princeton University Library. Princeton : The University Press, 1904

43 — M. TH. Houtsma. Catalogue d'une Collection de Manuscrits Arabes et Tures. Leiden, Holland : E. J. Brill, 1886.

44 — Nabih Amin Faris. A Demonstration Experiment with Oriental Manuscripts. New York : The H. W. Wilson Company. 1934. .....£££

45 — William Randall. A Detailed Catalog of the Arabic Manuscripts in the Anankian Collection of the Hartford Seminary Foundatiin. 1929. .....

46 — Philadelphia. Free Library. Oriental Manuscripts of the John Frederick Lewis Collection in the Free Library of Philadelphia. Philadelphia : The Library. 1937.

47 — Princeton University. Library Descriptive Catalog of the Carrett Collection of Arabic Manuscripls in the Princetin University Library Compiled by Philip Nitti. Nabih Amin Faris and Butrus Abdus Malik. Princetin : The University, 1938.

48 — Nabia Abbott. The Rise of the Nevah Arabic Scnpt and its Kur'anik Development, with a full Description of the Kur'an Manuscripts in the Oriental nstitute Chicago : University of Chicago Press. 1939.

49 — U. S. National Library of Medicine. A Catalog of Incunabula and Manuscripts in the Army Medical Library. New York. Henry wchumar. Inc. 1948. pp. 297-329.

50 — Yale University. Library. Arabic Manuscripts in the Yale University Library, Compiled by Leon Memoy. New Haven. Conn. : Yale University Press. 1956. (Transactions of the Connectiut Academy of Arts and Sciences 40) pp. 1-273. .....£££££333

51 — Wilhelm Ahlwardt. Verzeichmise der Arabischen Handschriften der Koniglichen Bibliothek zu Berlin : A. W. Schade's Buchdt, 1887-99

53 — J. D. Pearson. "Oriental Libraries Today." International Library Review. 2 (January, 1970) 9.

54 — Yale University. Library. op. cit. p. 5.